

حكايات الصغار تقتحم عوالم التكنولوجيا

سماح أبوبكر عزت: الكتابة للأطفال مازق إبداعي وفخ بالغ الجمال



كاتبة الأطفال الناجح هو طفل يكتب

ومع هذه المستجدات، فإن تفاعل الأطفال مع ورش الحكى التي تقدمها الكاتبة داخل مصر وخارجها يظل يمنحها الأمل في عودة الكتاب إلى عرشه، وهذا ما شجعها على تقديم برنامج للأطفال على شاشة التلفزيون المصري بعنوان "إحكي يا ماما سماح"، لتقص في كل حلقة منه حكاية من أعمالها، ويدور حوار حول أحداث القصة مع الأطفال المشاركين.

وتدين عزت بالعرفان لجيل الرواد من كتاب الأطفال، من أمثال يعقوب الشاروني وغيره، موضحة أن الكثيرين من الأدباء العظام قد خاضوا تجربة الكتابة للأطفال بحب وفخر، منهم أديب روسيا تولستوي الذي وصف نفسه بأنه "كبير بكتابتها للأطفال".

اهتمام دور النشر العربية بالكم على حساب الكيف من أبرز المشكلات والعوائق التي تواجه الكتابة للطفل

وتقول "لقد أدرك الجيل الحالي من كتاب الأطفال أن عليهم مواصلة المسيرة بأسلوب مغاير يتقبله الطفل اليوم، ذلك الطفل الذي نكتب له عن التنمر ونبيذ التفرة العنصرية وغير ذلك من القضايا الجادة التي طرأت على المجتمع، شأنه شأن الكبير".

وتعتقد الكاتبة أن اهتمام دور النشر العربية بالكم على حساب الكيف من أبرز المشكلات والعوائق التي تواجه الكتابة للطفل، فالعملية الجيدة صارت نادرة، ودور النشر تسعى إلى التنافس على الجوائز الدولية، دون النظر إلى ما يلائم الطفل في بعض الأحيان.

ومن المشكلات التقليدية زيادة التكلفة، ونقص الإمكانيات البشرية والمادية، ونذرة دور النشر المتخصصة في كتب الأطفال، ومع ذلك، انتشرت مؤخرا ترجمة العديد من القصص العربية إلى اللغات الأجنبية، وحصدت جوائز دولية مرموقة، وهذا مبشر.

الثلج وحرارة النار، فهي دائرة تسكن السماء، اختلف حولها الأصدقاء وتصارعت الطيور والكائنات، فمنهم من يراها ذهبية تنشر النور وتشرق في الصباح، والبعض الآخر يصر على أنها فضية تسطع في الظلام، وكلاهما كان على صواب، فالدائرة الحائرة هي الشمس التي تشرق في الصباح، والقمر الساطع في المساء".

شفافية تناول

إن طفل هذا العصر يحتاج إلى أن نخاطبه بشفافية، كونه يطلع على الكثير من الأحداث في العالم من حوله، لذا صارت قصص الأطفال تتناول موضوعات ربما لم تكن تتعرض لها من قبل، مثل علاقة الأطفال بوسائل التواصل الاجتماعي.

وقدمت الكاتبة المصرية أكثر من قصة تناقش هذه الظاهرة، منها "المنزل الأزرق" الذي تعني به فضاء الفيسبوك، وهي القصة التي وصلت إلى القائمة القصيرة بجائزة الشيخ زايد للطفل في أبوظبي.

وهناك قصص تعرضت لموضوع الحرب، وكيف يعاني البشر ويلتونها، وكيف يتفاعل الأطفال مع واقعهم، وهناك قصص تناقش عمالة الأطفال، وانتشار حالات الطلاق، وكيف يتعايش معها الطفل، ومفهوم المواطنة وتقبل الآخر، والخصوصية والحفاظ على الأسرار.

وترى أن الطفل يحتاج إلى أن نحترم عقله، ولا نخاطبه بأسلوب سطحي ساذج، فحينها سينصرف عن القصة، مهما كان مضمونها أو هدفها، ولا بد من تغيير لغة الخطاب الموجه للطفل لتواكب التطور التكنولوجي، وثورة المعلومات، ونضج عقلية الطفل وزيادة وعيه وإلمامه المعرفي.

ولا يستطيع أحد أن يُغفل دور التكنولوجيا في حياة أطفالنا، ولذلك فإن جرى توظيفها بشكل إيجابي ضيف لهم المعرفة ويمنحهم البهجة، فقد تحققت المعادلة الصعبة: "القصص واحة الخيال، يعيش أحدها الطفل، ويتفاعل معها، ومما لا شك فيه أن نشرها على المواقع الإلكترونية مثلا قد يجعلها أكثر قربا من عالم الطفل، وهذا يدعم نشرها ورقيا، ويكمله".

بلغت عزت قائمة الشرف في جوائز المجلس الدولي لكتب اليافعين بسويسرا عن قصة "الدائرة الحائرة"، الصادرة عن "نهضة مصر" برسوم الفنانة صباح كلا، وتدور حول تقبل الآخر وثقافة الحوار واحترام الاختلاف، وتمكنت في عملها من المزاجية بين الإمتاع والتسلية والتشويق من جهة، والإفادة والإقناع وتقديم رسالة إنسانية من جهة أخرى.

وتوضح "العرب" أن القصة التي تدرج بقائمة الشرف لها شروط عديدة، على رأسها أن تتناول موضوعا فلسفيا بشكل بسيط وعميق، وأن تبني فكرة تقبل الآخر والتعاضد السلمي، والأهم تنحصر في تقاليد مجتمع ما ومشكلاته. ومن خلال تواصلها المباشر والدائم مع الأطفال بمختلف الجغرافيات، لاحظت أن أسلوب العصر طغى على علاقاتهم وتعاملهم مع بعضهم البعض، فسريرا ما يبد الخلاف بينهم، ويتشبه كل منهم برأيه دون أن يستمع للطرف الآخر، وكثيرا ما يكون كل منهم على صواب، والهدش أنه قد يتلاشى سبب الخلاف، ويستمر الشجار بينهم.

وسعت إلى معالجة هذه الظاهرة من خلال قصة "تؤسس لأهمية تقبل الآخر، وتبين فكرة أن الاختلاف لا يعني الخلاف، وتبرز الفرق بين الحوار والشجار." تقول "بعد تفكير طويل، اهديت إلى 'الدائرة الحائرة' بين غلام الليل ونور النهار، بين برودة

هناك فهم مغلوط في الثقافة العربية مفاده أن الكتابة للأطفال أو الأغاني والمسرح والسينما وغيرها من الفنون الموجهة للطفل، تأتي في درجة أقل قيمة من الإبداع الموجه للكبار. وهذا ما خلف فقرا في الإبداع للأطفال حاول الكثير من الأدباء والفنانين تجاوزه ومن بينهم الكاتبة المصرية سماح أبوبكر عزت التي كان لـ"العرب" معها هذا الحوار.

شريف الشافعي
كاتب مصري

تواجه الكتابة للأطفال تحديات كثيرة في عصر الصور المتحركة وثورة الاتصالات والمعلومات وانخراط الصغار في اهتمامات وأنشغالات مختلفة، على رأسها مواقع الإنترنت وصفحات السوشيال ميديا، ما يجعل الكتاب المطبوع الموجه للطفل مغامرة حقيقية تتطلب خطا مطورا يلائم مستجدات العصر ويواكب نضج الطفل ووعيه ومعرفته.

ومن هؤلاء القاصين على الجمر، سماح أبوبكر عزت، التي قدمت للكتابة العربية قرابة أربعين مؤلفا متنوعا للأطفال، ونالت جوائز عالمية عدة، ووصلت قصتها "الدائرة الحائرة" مؤخرا إلى قائمة الشرف الصادرة عن الهيئة الدولية لكتب اليافعين "IBBY" لعام 2020. وقد التقت "العرب" الكاتبة المصرية لمناقشتها حول حاضر أدب الطفل ومستقبله وقضاياها.

على الرغم من خوض عزت تجارب في كتابة السيناريو لقصص الأطفال، وتآليف الأفلام والمسلسلات والفوازير وحلقات العرائس والكارتون والصلصال وخيال الظل وغيرها، فإنها تعتبر أن الكتب المطبوعة التي تتضمن حكاياتها للصغار مجالها الأول، وتراهن على تكريس وتطوير هذا اللون ليصمد جنباً إلى جنب مع الأساليب العصرية لمخاطبة الطفل.

الدهشة البكر

سأل الكاتبة الأيرلندي صمويل بيكيت "ماذا لا تكتب للأطفال؟"، فاجاب قائلاً "لنني لم أنضج بعد". وتؤكد سماح أبوبكر عزت لـ"العرب"، أن الكتابة للأطفال لم تكن يوما بالأمر السهل، بل هي في الواقع مازق إبداعي، وفخ وعز، لكنه فخ بالغ الجمال.

وتلفت صاحبة "سهيل من ذهب" و"الحائر بين الأرض والسماء" و"فان في بيت تاسر" و"أصدقاء من الألف إلى الألف"، إلى أن الكتابة للطفل يجب أن تجمع بين العمق والبساطة في آن، لكنه العمق دون تعقيد، والبساطة دون سطحية أو مباشرة.

إن كاتبة الأطفال الناجح هو طفل يكتب، بمعنى أنه ذلك الذي لا تغاربه طفولته مع الأيام، فيكتب بروح طفل تدهشه كل المفردات، فالدهشة هي بداية المعرفة، ويظل دائما يسكنه قلب طفل، وعقل حكيم، وروح شاب. وليس مهما ذلك الحديث عن الألفاظ، فالكاتب الأطفال هو المتحدث أو الحوار مع الأطفال، وهناك فرق كبير بين "عن" و"مع".

بدأت علاقة عزت بعالم الطفل من خلال الدراما، ثم اتجهت إلى الكتب، ليقينها أن الكتاب باق مهما مر الزمن، ويرى البعض أن الكوميكس والأفلام والمسلسلات المتحركة، سواء عبر الفضائيات أو عبر الإنترنت، هي التطور الطبيعي للكتابة للطفل، بعد تعذر أمور الطباعة وتآثر حركة نشر الكتب في الأونة الأخيرة، وغلاء أسعار الورق والأحبار وتكاليف الطباعة، واتجاه التعليم صوب المنصات الإلكترونية.

وتشير الكاتبة المصرية إلى أن الكوميكس والأنساق الجديدة لا غنى عنهما، لكنهما "ليسا بديلا عن كتاب الطفل، فكل يؤدي دوره، ويسهم في تنمية خيال الطفل، ومهما تطور ركب التكنولوجيا، يظل للحكاية رونقها، وفي عصرنا الحالي لا بد أن تأخذ الحكاية شكلها الجذاب، الذي يدهش الطفل، فتقتحم عالمه وتخاطبه بما يشغله، بأسلوب بعيد عن المباشرة والوعظ".

كورونا يوقف ربيع قطاع الترجمة عند العرب

الرباط - لا أحد ينكر التطور الذي شهده قطاع الترجمة في العالم العربي، حيث أصبح قبلة للكثير من المواهب، كما صار فعلا اقتصاديا وساهم في تحسين صناعة الكتب، كما لا ننسى الترجمة الفورية التي تظل ضرورة في المعاملات الاقتصادية والسياسية والندوات الثقافية والفكرية وغيرها. ربيع الترجمة بدأ يتراجع في ظل جائحة كورونا التي أفرزت عبر العالم تداعيات وخيمة على جملة من القطاعات والأنشطة التي تعطلت عجلتها فجأة جراء توقف قسري ما زالت تكافح من أجل تجاوز تبعاتها.

ولم يسلم قطاع الترجمة، التحريرية والفورية على حد سواء، من هذه التداعيات الوخيمة لارتباطه الوثيق بالقطاعات والملتقيات الوطنية والدولية التي الغي الكثير منها وتاجلت أخرى بسبب إغلاق الحدود لمدة ليست باليسيرة، إضافة إلى تعطل صناعة الكتب التي كانت المعراض الدولية والمحلية نافذة هامة لها.

في تشخيصه لحال القطاع في ظل الجائحة، يرسم المترجم التحريري والفوري، المغربي خالد ليف، صورة قاتمة في شكل "تكسة حقيقية"، لاسيما خلال الأسابيع والأشهر الأولى التي تلت تفعيل إجراءات الحجر الصحي وقرار إغلاق الحدود، باعتبار أن قطاع الترجمة، لاسيما الفورية، ينشط في ظل المنديات واللقاءات والاجتماعات التي تعقد إما بصفة دورية سنوية أو بصفة مناسباتية بحضور متحدثين بلغات متعددة يمثلون مختلف القطاعات والتخصصات.

الترجمة ليست فقط فعلا ثقافيا منعزلا عن محيطه، فإضافة إلى بعدها الثقافي لها أبعاد اقتصادية هامة

وسجل ليف، في حديث مع وكالة المغرب العربي للأنباء، أن نشاط الترجمة الفورية توقف تماما عن الاشتغال خلال فترة الحجر الصحي، قبل أن يبدأ القطاع في استعادة نشاطه تدريجيا بالزمان مع مختلف مراحل رفع إجراءات الحجر والتخفيف منها، بيد أنه ما زال يئن تحت وطأة تداعيات الجائحة، حيث تناهز نسيب تضرر المشتغلين في القطاع في الوقت الراهن ما بين 80 و90 في المئة.

وكان من تبعات الأزمة أن أصبح المترجم يتقاضى أتعابه حسب عدد الساعات التي اشتغلها، باجور نقل عما هو معمول به في الظروف العادية، خلافا لنمط العمل عن اليوم في السابق.

ويرى ليف أنها "أزمة خانقة" لا تزال تداعياتها تلقي بظلالها على قطاع الترجمة التحريرية أيضا جراء الجائحة، ويعزو أسبابها أساسا إلى إغلاق الحدود وتوقف السفر من المغرب واليه، وتوقف تدفق المهاجرين، لاسيما المغاربة المقيمين بالخارج.

وقد تفاقم الوضع، حسب المترجم، من جراء صعوبة الترجمة عن بعد بحكم تعذر التثبت من حجية الوثائق



الترجمة تشهد ازدهارا (لوحة للفنان نجا المهداوي)